معالجات فلسفة الإلحاد في الفكر الإسلامي: محمد عمارة نموذجاً

Treatments of the philosophy of atheism
In Islamic thought: Muhammad Amara as a model

م.د. عامر محمد مهدي
جامعة بغداد
amer.m@uobaghdad.edu.iq

أ.د. حسام گصّاي حسين
جامعة تكريت – كلية العلوم السياسية
Hussam.kassay@tu.edu.iq

تاريخ استلام البحث: ٢٠٢٤/١٠/١٠ **تاريخ قبول النشر:** ٢٠٢٥/١/١٣

الملخص:

نحاول في هذا البحث ان نبين معالجات فلسفة الإلحاد في الفكر الإسلامي: محمد عمارة نموذجاً، فيبدو المشهد العربي صورة مُركزة عن معاناة المجتمعات الغربية في العصور السابقة ما دعا إلى تبني الإلحاد؛ كوجهة نظر، ومع أنها فكرة صعب تقبلها في مجتمعاتنا الشرقية لمساسها بالمقدس والجوهر والمتعال، فأن طرق علاجها لا ينبغي أن تحل بالعنف والقتل، فالفكر لا يحارب إلا بالفكر، ومن هذا المنطلق نجد من الضرورة التوخي في معالجة ظاهرة الإلحاد في المجتمعات العربية الإسلامية من منظور ديني على أن يعالج المشكلة من داخله وبالطرق التي لا تحض على تنامي الظاهرة نتيجة ردة الفعل عن الفعل نفسه، شكلت فكرة الإلحاد واحدة من القضايا الجدلية المعاصرة التي فرضت نفسها بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ نتيجة وردة فعل على الفعل نفسه، حسبها الكثير من الشباب على أنها _ أي الإلحاد _ هو وقاية للفرد من تهمة التطرف والعنف، أو شهادة براءة من الجماعات، أو أنها الحل بعدما فشلت النزعة الدينية من مواجهة التحديات المعاصرة التي تواجه الشبيبة والمجتمع العربيين.

الكلمات المفتاحية: فلسفة، الإلحاد، الفكر الإسلامي، محمد عمارة.

Abstract:

In this research, we try to show the treatments of the philosophy of atheism in Islamic thought: Muhammad Amara as a model. The Arab scene appears to be a concentrated image of the suffering of Western societies in previous eras, which led to the adoption of atheism; as a point of view, and although it is an idea that is difficult to accept in our Eastern societies due to its touch on the sacred, the essence and the transcendent, the methods of treating it should not be solved with violence and killing, as thought is only fought with thought. From this standpoint, we find it necessary to be careful in treating the phenomenon of atheism in Arab Islamic societies from a religious perspective, so that the problem is treated from within and in ways that do not incite the growth of the phenomenon as a result of the reaction to the act itself. The idea of atheism constituted one of the contemporary controversial issues that imposed itself after the events of September 11, 2001 as a result of a reaction to the act itself. Many young people believed that - atheism - is a protection for the individual from the

accusation of extremism and violence, or a certificate of innocence from groups, or that it is the solution after the religious tendency failed to confront the contemporary challenges facing Arab youth and society.

Keywords: Philosophy, Atheism, Islamic Thought, Muhammad Amara.

المقدمة

شكلت فكرة الإلحاد واحدة من القضايا الجدلية المعاصرة التي فرضت نفسها بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ نتيجة وردة فعل على الفعل نفسه، حسبها الكثير من الشباب على أنها _ أي الإلحاد _ هو وقاية للفرد من تهمة التطرف والعنف، أو شهادة براءة من الجماعات، أو أنها الحل بعدما فشلت النزعة الدينية من مواجهة التحديات المعاصرة التي تواجه الشبيبة والمجتمع العربيين.

فيما شكلت المجتمعات العربية مؤشرات متقدمة في مجال الإلحاد تزايد بشكل ملفت في الدول العربية التي تشهد حروب أهلية وصراعات طائفية مثل لبنان، العراق، وكذلك مصر وتونس والمغرب العربي، على اعتباره حرية رأي وتعبير، لم تجد الأنظمة العربية فرصة مناسبة لتقديم أطر معالجتهِ بالتزامن مع تفشي المخدرات، الممنوعات، صعود مغريات العالم السُفلي وتبدل القيم نحو مجتمع استهلاكي، شيئي وهامشي، يقدر معنى التشيؤ والسيولة والابتذال بالمعنى الذي صورتهُ فلسفة ما بعد الحداثة من "فردريك نيتشه" (١٨٤٤_١٩٠٠) إلى زيجمنت باومان (١٩٠٣_١٩٩٨).

ليبدو المشهد العربي صورة مُركزة عن معاناة المجتمعات الغربية في العصور السابقة ما دعا إلى تبني الإلحاد؛ كوجهة نظر، ومع أنها فكرة صعب تقبلها في مجتمعاتنا الشرقية لمساسها بالمقدس والجوهر والمتعال، فأن طرق علاجها لا ينبغي أن تحل بالعنف والقتل، فالفكر لا يحارب إلا بالفكر، ومن هذا المنطلق نجد من الضرورة التوخي في معالجة ظاهرة الإلحاد في المجتمعات العربية الإسلامية من منظور ديني على أن يعالج المشكلة من داخله وبالطرق التي لا تحض على تنامي الظاهرة نتيجة ردة الفعل عن الفعل نفسه.

أي إيجاد سُبل وأدوات إسلامية ناعمة (القوة الناعمة) ترد الخارج إلى جادة الصواب بوعي وبصيرة وتثقيف، ومن هنا سوف تتناول الورقة البحثية معالجات المفكر الإسلامي الدكتور "محمد عمارة" لظاهرة الإلحاد في المجتمعات العربية بما ميزهُ الواقع من وسطية ومراجعات نقدية علمية وعملية وروح عالية في التعامل مع الأخر رافضاً كل أداوت العنف والتكفير للتغيير، وادعياً إلى الفكر الحر والحرية الدينية والسياسية ومبصراً للواقع بمنظور ديني يقدر ما تمر به الأمة العربية من ظروف وما تواجههُ من نوازل.

بالرغم من أن الدين يشكل جزء أصيل من تكوين الامة العربية، وعنصر قوة لها، فلم يستطع العقل العربي من قبول فكرة الالحاد وهو مُشبع بروح الايمان في داخله وهنا لا يمكن جمع الاثنين في بوتقة واحده رغم قابلية الفكر العربي والعقل السياسي على جمع الثنائيات (العروبة والإسلام، الأصالة والمعاصرة، الدين والسياسة، الدين والنزعات المادية، ... إلخ.

سنحاول توضيح معالجات الدكتور محمد عمارة عبر تقسيم الدراسة إلى عدة محاور، وهي:

_ المحور الأول: حياة المفكر محمد عمارة

_ المحور الثاني: أزمات العقل العربي

_ المحور الثالث: الإلحاد في منظور عمارة

_ المحور الرابع: نقد العلمانية

_ المحور الخامس: نقد الإلحاد بالإسلام

_ المحور السادس: نقد طروحات محمد عمارة بشأن الإلحاد

المحور الأول: حياة المفكر محمد عمارة

ولد محمد عمارة مصطفى عمارة بريف مصر ببلدة "صروة" مركز "قلين" بمحافظة كفر الشيخ في ١٩٣١/١٢/٨[١] فنشأ في بيئة اجتماعية لأسرة يعمل افرادها بالزراعة وتمتلك قدراً محدداً من الأرض [٢] ميسورة الحال مادياً ذات التزام ديني محافظ، مما دفعته هذه الظروف التي تناغمت مع توجه ابويه وبيئته الملتزمة إلى حفظ القرآن الكريم وتجويده على يد "كتاب القرية" مع تلقي العلوم المدنية الأولية بمدرسة القرية في مرحلة التعليم الإلزامي [٣]، و فيقول عن نفسه: "بحكم النشأة في محافظة كفر الشيخ وكانت تقع تحت سيطرة لصوص الإقطاع ومظالم الممارسات الإقطاعية كانت أغلب قراها وأرضها تابعة للخاصة الملكية، وأسر إقطاعية في هذا المناخ تفتح وعيي السياسي وشهيتي في المعارضة ضد هذا الظلم الإقطاعي"[٤]، وفي العام ١٩٤٩ التحق بمعهد طنطا الأحمدي الديني وحصل على الثانوية عام ١٩٥٤ ثم التحق بدار العلوم بجامعة القاهرة ونال درجة الليسانس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية وتأخر تخرجه بسبب نشاطه السياسي الى العام ١٩٦٥ بدلاً من العام ١٩٥٨ كما كان مقرراً.

وفي فترة الدراسة الجامعية واصل عمارة نشاطه الوطني والأدبي والثقافي فشارك في المقاومة الشعبية بقناة السويس إبان مقاومة الغزو الثلاثي لمصر عام ١٩٥٦، واستمر في نشر كتاباته ومقالاته _ كجزء من نشاطه السياسي _ في صحف المساء المصرية، مجلة الآداب البيروتية وكانت أول مؤلفاته عن (القومية العربية) سنة ١٩٥٨، ونشر في صحف اخرى كمنبر الشرق والمصري والكاتب بالإضافة الى صحف محلية اخرى متنوعة[٥] فبدأ ماركسياً، ثم قومياً، لينتهي إسلامياً مع احتفاظه وفاءً لتلك النزعات الثلاث حتى وفاته قبل أشهر، وهذا ما لمسناه في حديثنا الشخصي معه عام ٢٠١٢.

وفي عام ١٩٧٠ نال عمارة شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية تخصص الفلسفة الإسلامية عن أطروحته "المعتزلة ومشكلة الحريات الانسانية" من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، كما نال الدكتوراه من نفس الجامعة عام ١٩٧٥ عن أطروحته الموسومة "الإسلام وفلسفة الحكم"[٦].

ينطلق عمارة في نقد الإلحاد من تصور ديني للظاهرة الإسلامية الشاملة، وليس من منظور الحركة الإسلامية، فهو يقدم تصورات عن ظاهرة لأنها أعم واشمل من الحركة[٧]، والظاهرة الإسلامية عنده هي يقظة وصحوة ليست على غرار الراديكالية الإسلامية إطلاقاً، ولاهتماماته البالغة في قضايا الفكر العربي والإسلامي خاصة الدين والدولة والعلمانية والعولمة والحداثة والتراث وجملة أزمات الفكر الإسلامي وجدنا من بين القضايا التي تناولها ضمناً ولها ارتباط وثيق بالعلمنة مثل مشكلة الإلحاد مخرجاً لهذه الدراسة

التي ركزت على الطروحات النقدية والمعالجات الفكرية للدكتور عمارة لقضية الإلحاد من منظور إسلامي مُشبع بروح علمية ودينية في آن واحد وهذا قلما تجدهُ عند مفكر عربي معاصر حافظ على الوسطية في عصر الإرهاب والعنف الأصولي.

المحور الثاني: أزمات العقل العربي

عرف الدكتور محمد عمارة العقل على أنه ميزة الإنسان وعلامة تمييزه عن بقية المخلوقات، وأن أعمال العقل فريضة ولازمة من لوازم الحكم في مختلف القضايا المجتمعية، وتحديد المواقف واتخاذ القرارات[٨] وبالتالي لا فكاك من التعويل على العقل، دون تجاهل الجانب الروحي للوحي والنص الديني وهذه ميزة الحضارة العربية الإسلامية عن الحضارة الغربية أنها تأخذ بالعقل وإضافاته البشرية المراعية للشريعة، أي متلازمة الوحي والعقل، والأخير _ وفقاً لعمارة _ ليس عضواً من أعضاء الإنسان بل هو ملكه مثل الذكاء كما انزل الله _ عز وجل _ الكتاب، انزل الحكمة وانزل الميزان أي العقل[٩] فليس هناك متسع في الفكر الإسلامي لتهميش العقل عند عمارة.

وجاء ذكر مصطلح "العقل" في **تسع وأربعون** موطناً في القرآن الكريم [١٠]، باعتباره اداة للنظر والبرهنة والاستنباط والاستدلال [١١] ولكن في منظور الواقع أن هذا العقل نفسه قد تسبب في الكثير من الازمات الذاتية للفرد، من بينها التشدد والغلاظة في الإيمان وكذلك الانحلال والترهل، إلى جانب الكفر والإلحاد ومن هنا يحاول الدكتورة عمارة أن ينقد العقل، كمقدمة لحضورية الإلحاد في معالجاته لظاهرة الإلحاد.

أذ يرى عمارة أن ما يعانيه المجتمع العربي الإسلامي من نقص في الغذاء والمجاعة والأوبئة والأمراض البيئية والأمراض النفسية والميوّل الغريبة والشاذة والمشكلات الاجتماعية والمعاشية تؤكد أن العقل العربي الإسلامي يعيش في أزمة [١٢] ودّوامة صراع لا ينقطع، مشكلاتهُ تعاني الدائرية والتكرار، وأن هذه الأزمة التي يعاني منها المجتمع العربي الإسلامي تكمن في سببين فقط هما [١٣]:

١. التخلف الموروث هو (عصر التراجع الحضاري إلى حكم المماليك والعثمانيين والعسكر).
٢. الوافد الغربي الضار (الهيمنة الغربية).

وأن العقل هنا في الحضارة الغربية قرين الحداثة والعولمة لكن هذه الحداثة كما العقل زُورت وزيفت المجتمعات الغربية على أنها تجديد، وهذا هو "الغش الثقافي"، والحداثة في الثقافة الغربية هي التي جعلت الإنسان محورها بدلا من الله _ عز وجل _، فأقامت قطيعة معرفية مع الموروث عامة ومع الموروث الديني على وجه الخصوص[١٤]، بل هي نقيضه ومعاكسة للموروث الفكري العربي الاسلامي على وجه الدقة[١٥] فحداثة الإسلام الاجتهاد كما أشار لذلك "زكي الميلاد" لهذا ينتقد عمارة المشروع الحداثي من دوافع "تهضوية اسلامية" مستندة على المرجعية الاسلامية، وهو يعترض على استخدام منهجية التنوير الغربي في تجديد العلوم الاسلامية لغرض نهضة وتقدم المجتمع العربي الاسلامي[١٦]، وبالتالي فأن الحداثة بمنظور عمارة كارثة حقيقية وطامة كبرى في شؤون الدنيا[١٧] قد تكون إن حسن ظننا أنها مغذّي الإلحاد والشذوذ في تصور عمارة، لأنها عملية ازياح عن مركزية القيم الإسلامية نحو تقليد واتباع ملذات الحضارة الغربية التي لا تُعير للدين أي اعتبار.

ومع أنهُ يلق باللائمة على الغرب الاستعماري وليس على العرب والمسلمين في هذا الانزياح المتردّي إلا أنهُ يكرر دائماً أن التخلف هو سببه الأنظمة الحاكمة خلافة أو نظام سياسي حديث، لكنه ما انفك من استعارة الغرب في أغلب مشاكلنا مع إنها داخلية صرفة ولكن يعطي للغرب دوراً "لنظرية المؤامرة" التي لا يعدو أن تكون في حقيقة الأمر مجرد مصلحة قومية للغرب ليكن الأمر بالنتيجة طبيعي وبديهي ومسلم به من أي سلطة سياسية.

المحور الثالث: الإلحاد في منظور عمارة

ينطلق محمد عمارة في فهم ومعالجة الإلحاد من بحث علاقة الدين بالدولة، والسياسة، والسلطتين معاً، وينطلق بدءً من تفكيك الإطار العام الحارس للإلحاد، والمقصد هو الدولة، فهو ينظر إلى مدنيتها لا دينيتها (نفي الدولة الثيوقراطية في فكر عمارة)، خلافاً للفكر السلفي الذي يقيم وزناً للدولة الدينية ويدافع عنها في مواضع عده، فالدولة عنده هي "المؤسسات ذات السلطات التي تحكم أمة أي شعب ووطن"[١٨] وأنها تبلغ من الضرورة الماسة لسياسة المجتمع وقيادته وتنظيم العلاقات وتطوير جهود الأمة في النهضة والتقدم وجلب المنافع ودفع الضرر عن الناس والمجتمع[١٩] على اعتبارها أحد بديهيات الواقع بحكم مدنية الإنسان واجتماعيته، وواجب مدني اقتضاه ويقتضيه الواجب الديني الهادف الى تحقيق الخير للإنسانية[٢٠] فلا نجده يمجد الإلحاد هنا ولا نقيضة، ما يفضي القول إن الدولة المدنية لا تعني لا دينية ولا تعني دعم الجهر بالكفر أو الإلحاد، إطلاقاً، ما يقصده عمارة أنها تنظر للحياة من خلال فقه الواقع وما تقتضيه المصلحة العامة لجلب الخير للبلاد والعباد ويسميها بـ "السياسة الإسلامية" طبعاً الإلحاد لا يعد نفعاً ولا خيراً مهما علت قيمتهُ في منظور عمارة وعموم الفكر الإسلامي بطوائفه ومذاهبه.

فالدولة _ هنا _ ليست ركناً دينياً، رغم وجوبها المدني إلا أنها ليست بالمعنى الدقيق الذي يقطع صلاتها بالواجبات الدينية على النحو الذي يقوم به العلمانيون؛ لأن كثير من الواجبات الدينية متوقف على تحقيق الواجب المدني؛ لان المدنية _ بتعبير عمارة _ هي نفي أو انتفاء الحاجة للكهانة والثيوقراطية عن طبيعة الدولة والسياسة في الاسلام، بالوقت الذي لا تعني فيه العلمانية التي تجزم بفصل الدين عن الدولة والمجتمع والسياسة[٢١] ولا تدعو للإلحاد أو الجهر بالمفاسد، لأن السياسة الشرعية في الإسلام تدأب على استقامة الفرد، المجتمع، الدولة، وهذه الاستقامة هي الوسطية التي تنبذ التكفير والتطرف وتحارب الإلحاد والمفاسد تبعاً لمراعاة واقع المجتمعات العربية الإسلامية.

ولأن الدولة ليست من أهداف الوحي ولا مهمة من مهام النبوة والرسالة ولا ركنا من أركان الدين[٢٢] فأنها بالتالي غير مطالبة بتكفير أحد أو إخراج غيره من الملة إلى التوّثن والإلحاد واللا أدرية، وبالتالي نستطيع القول بأن "محمد عمارة" كان واعي وقويم حد الكفاية في تخريج مبرر للدولة غير مرتبط بالشأن السماوي لأنها عبارة عن مجموعات سياسات دنيوية قد يُحسب اخفاقاتها للسماء لهذا لم يولي لها دور توجيه المجتمع باتباع دين أو تركه، انطلاقاً من القاعدة الشرعية القرآنية (لا إكراه في الدين)[٢٣] التي تعطي مساحة للحرية الفردية من جانب، ومعالجة قضايا الكفر والرّدة والإلحاد والمروق والتوّثن بطرق أكثر سلمية مما يطرحها الفقه الإسلامي المعاصر من معالجات راديكالية مغالطة خلقت جمهور متسع من الرافضين للإسلام بسبب المعالجات الإسلامية.

المحور الرابع: نقد العلمانية

وهناك من يربط الإلحاد بفكرة العلمانية، وهو ربط غير صحيح بالمرة، في حين يقول المفكر "عبد الوهاب المسيري": هناك فريق يرى أن العلمانية هي كفر وإلحاد وغزو ثقافي[٢٤] وعلى أساسهِ رُفضت الحركات الاسلامية فكرة العلمانية وربطها بالتغريب بما يتضمن ذلك من الاستعمار والتبشير، والتمسك بالإسلام الذي يربط بين الدين والدنيا، ورفعت شعار سيد قطب "الحاكمية لله" طبقاً للآية القرآنية **(وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)**[٢٥]، وما الدعوة الى عزل الدين عن السياسة ما هي إلا محاولة مغلوطة لتجريد العقل الانساني من الضابط والمقوم ومن نقطة الارتكاز الحقيقية التي تقوم على القانون الطبيعي وهذه نظرة الدكتور عمارة للخلط بين العلمانية والإلحاد.

إذ ركز فكر عمارة على العلمانية؛ كواحدة من أكثر القضايا جدلاً في الفكر العربي والإسلامي لما تحتويه مضامينها _ وفهمها _ على ثقافة القطع مع الدين والنزعات المادية الغربية الداعية إلى الانفتاح وتبني القيم الغربية من تحرر وشذوذ وإلحاد من منظور ديني ضيق لا يجد القدرة على متسع الديناميكية والحركية وتفهم مقاصد الأخر، وبالرغم من أن هناك من يدعي "أن العلمنة تعني اشاعة الحياة المدنية في المجتمع العربي الاسلامي إلا إن عمارة يذهب عكس ذلك ويرى انها ثمة محاولات شاذة لعلمنة الاسلام وتجريده من التشريع للدنيا والدولة والسياسة والاجتماع وهي محاولات تحمل جهلاً واضحاً[٢٦] وهو ينظر إليها في سبيل المقارنة مع طبيعة الإسلام على إنها انحراف عن مساره الحقيقي واستجابة لمعطيات العصر وليس استجابة لطبيعة الدين، فالعلمانية كأس مسموم تجرعته اوروبا المسيحية فأنتج قيم لا انسانية وتفسخ اخلاقي للمجتمع الغربي وتفتيت الدين وتقليص دوره الحضاري، فيحاول الغرب أيضا، العمل على تجرع بلاد العرب والمسلمين كأس السم ذاته لإنتاج ما اصاب المجتمعات الغربية في بلاد المسلمين من خلال تطبيق النهج العلماني المبتسر[٢٧] وإن استعصاء الاسلام على قبول فكرة العلمانية الغربية هذه هو السبب الجوهري للحملة الغربية المعادية للإسلام[٢٨] في ظن دكتورة محمد عمارة.

وبالتالي ساعدت على تنامي الإلحاد، فصل الامة الاسلامية عن حضارتها وتحويل المسلمين الى هامشيين في الحضارة الغربية، لكن هذا الرفض لا يجب أن يأخذ بالتمسك بما هو قديم، فنحن مطالبون بالتمييز بين النصوص ومقاصدها[٢٩] فهي مرفوضة لأنها تهدف الى عزل السماء عن الارض وتحرير الاجتماع البشري من ضوابط وحدود الشريعة الالهية، وإقامة "قطيعة معرفية" مع الدين[٣٠] ويعيب عمارة الحل العلماني لنهضة الأمة ويستخف في عقول التنويرين مثل الشيخ علي عبد الرازق وطه حسين[٣١]، ذلك بسبب تخندقهُ في صف الوسطية فهو يرفض الانفتاح الفائق على الغرب دون قيد أو شرط، ولا الانغلاق التام، أظن أن دكتور عمارة هنا هو تلميذ مخلص لفكر الشيخ جمال الدين الأفغاني ومدرستهِ خاصة "محمد عبده" "السلفية الإصلاحية" وعكس "محمد رشيد رضا" تماماً.

المحور الخامس: نقد الإلحاد بالإسلام

ينظر محمد عمارة إلى الإسلام بأنه الدين الوحيد الذي لا يكتمل الإيمان به إلا بالإيمان بكافة النبوءات والشرائع والرسالات [٣٢] نظراً لخاتميتهُ، فهو دين لا يعرف الحدود أو الفواصل التي ترسمها الاجناس والقوميات الحضارية، وبالتالي فهو يدعو إلى تطهير النفس بالإيمان الحقيقي، وتقديم النصح من باب أن الإسلام هو دين النصيحة، واستعمال أداوت القوة الناعمة في سبيل هذا الاتجاه لا إرغام ولا إكراه لأن الإسلام دين هداية.

فهو ينظر إلى الإسلام على أنه دعوة للحرية والسعادة، دعوة للتحرر وكذلك لتحرير ثروات العالم الإسلامي في استغلال الرأسمالية الغربية المتوحشة[٣٣] وكان عمارة ينظر بنوع من "نظرية المؤامرة" إلى حملة الغرب للإسلام، بأن الهدف المباشر للحملة الغربية الجديدة باعتباره الثقافة الوحيدة القادرة على توجيه تحد فعلي وحقيقي لمجتمعات يسودها مذهب اللا ارادية وفتور الهمة واللامبالاة وهي أفات المجتمع ماديا ومعنوياً[٣٤] وهذه كلها مغريات ومقدمات لدعوات الإلحاد والتجرد من القيم الروحية للدين التي يرفضها أي دين سماوي وفي مقدمته الإسلام.

فرؤية محمد عمارة ترى أن الإسلام هو الحل، _ ترفعاً من أن يكون هذا شعار الإخوان المسلمين والإسلاموية _ إلا أن عمارة يحاول إخراجه من بوّتقة الحركية الإسلامية إلى تعميمه كظاهرة دينية _ اجتماعية وهذا هو منظور عمارة لمعالجة الإلحاد بالإسلام، فالإسلام دين وسطي، يدعو وينصح لا يُرغم ولا يُكره وهذه هي المعالجة الفعالة للإسلام الحقيقي، والحسن إن عمارة لم ينتم لحركة إسلامية أو ينظر لها مثلما فعل "يوسف القرضاوي" وهذه تُحسب لهُ في مضمار تقييم شخصه وفكره.

المحور السادس: نقد طروحات محمد عمارة بشأن الإلحاد

بالرغم من الطروحات النقدية المقبولة والريادية التي قدمها الدكتور محمد عمارة بخصوص ظاهرة الإلحاد ومعالجتها _ وإن كانت ضمنية لا رئيسة في إطار العلمانية، وعلاقة الدين بالدولة والسياسة، إلا أن تلك الطروحات شابها بعض اللغط فهي لا تخلو من نقد ومآخذ على الدكتور محمد عمارة في الرؤية لها، حاولنا تشخيصها هنا في ثمة نقاط يمكن إيجازها بالشكل التالي:

١. أن عوّل على إلقاء اللائمة كل اللائمة على الغرب في سبب خراب العالم العربي والإسلامي، وكأنما أراد التكلم باسم "نظرية المؤامرة" بصورة عالية الوثوق مع أنها تفتقر للسند العلمي إجمالاً.

٢. شخص عمارة الأسباب والدوافع الخارجية للإلحاد والانحراف لدى المجتمعات العربية الإسلامية، ولكنهُ سكت تماماً عن الأسباب والدوافع الداخلية التي تشكل التأثير الأقوى في تنامي ظاهرة الإلحاد.

٣. لقد فات الدكتور عمارة أن يبين أن من أسباب الإلحاد هو التشدد الديني وتنامي ظاهرة المد الديني والصحوة الإسلامية وصعود الحركات الإسلامية التي دفعت الكثير من الشباب إلى الإلحاد والالتحاق بالغرب كتبرئة من الدين الذي تسبب في موت البشرية.

٤. يقارب عمارة بين العلمانية والإلحاد، وينظر للعلمانية على أنها قسيمة كل معايير مغريات العالم السُفلي، وهذا برأينا تجنٍّي على العلمانية إذا ما نظرنا إليها على أنها نظام سياسي ينظم علاقة الدين والدولة، وبالتالي فالعلمانية نظام سياسي والإلحاد عقيدة مناهضة للدين ولا يوجد أي رابط بينهما، إلا إذا كانت العلمانية راديكالية بالصورة التحررية الفائقة وهذا لم يحصل في ذروة العلمانية في محاولات تطبيقاتها في عالمنا العربي.

٥. عاش المفكر الإسلامي محمد عمارة حياة مضطربة إيديولوجية، لم يستقر إلا أخر حياته، بين بدايته الدينية الورعة _ ذات الطابع الصوفي/ الأزهري _ وتعليمه وحفظه القرآن على يد كتاتيب القرية، ثم شب ماركسياً جريئاً، ليعود بعدها قومياً عروبياً، ثم ما لبث إن عاد للإسلام، مع تخليه عن الماركسية وتمكسه بالعروبة، مما عرفته تلك الاضطرابات على كامل تفاصيل الإلحاد، فنأى بنفسه عنها، وختم الله (عز وجل) حياته بالمثول أمام الورع الديني، والالتزام الروحي الصارم للإسلام، وهذه إن عدت، يمكن احتسابها معالجة للإلحاد في رحلة طويلة بين مضامين النزعات المادية الداعية لفكر الإلحاد والتحرر الديني.

الخاتمة:

تتحدد الرؤية الدينية للإلحاد على أنها رؤية منافية للإلحاد، ولكن المعالجة كانت صائبة إلى حد ما، والشيء الذي يُقدر ويُحسب للدكتورة عمارة أنهُ لم يعالج الإلحاد بفرض نقيضهُ التام، فرض نوع من الإيمان الإيديولوجي، فهو قدم صورة توضحيه عامة وغامضة عن القضية لكنها بالوقت نفسه بقي في صف الوسطية الإسلامية ولم يستعمل "آيات السيف والقتال والعقيدة" كبدائل وحلول لظاهرة الإلحاد كما تفعل الحركات الأصولية الإسلامية، وإنما ترك أبواب حرية العودة إلى الدين مفتوحة وغير مشروطة ولا مقيدة أن يختار المرء أي نوعم من الممارسة الدينية غير الإلحاد.

كما أن عمارة ركز على الجانب العام والإطار الخارجي الضامن للدين الإسلامي وهو الدولة، وأعطاها أولوية فائقة انطلاقاً من فهم أن الخلافة والإمامة (الدولة الإسلامية) مهمتها حراسة الديني وسياسة الدنيا، وبالتالي أن تُساس عملية معالجة الإلحاد من خلال نشاط السلطة السياسية وإدارة الدولة التي توكل إليها مهمة رعاية المجتمع من الانحراف والخروج عن النسق الذي يعاين القوانين الوضعية مع الشريعة الإسلامية.

وبالتالي كانت جهود الدكتور محمد عمارة واضحة في معالجة ظاهرة الإلحاد من منظور إسلامي، وسطي، معتدل، كرس أداوت علمية وعملية ناعمة، بدل القوة والعنف الذي قد يدعو للتنفير والخروج عن النسق الإسلامي وأن يُفقد المجتمع بيضة الإسلام، ومن هنا أظهر الدكتور عمارة رؤية ناجحة ومقبولة في التعامل مع فقه الواقع والنوازل والمستجدات بدل الترفع عليها والتهوين، كان في فكره قريبة من ملامسة المجتمع ومعاناته وظروفه والعيش عن كثب مما يعانيه وتقديم صورة حل مقبولة تتساوق مع المسار الإسلامي ولا تختلف عليه، واستيعاب كل مخرجات المجتمع وإن كانت غير مقبولة فلا يُنفرها وإنما يحاول استدراجها حين التمكين منها، وهذه هي أسس المدرسة الوسطية التي انتمى إليها حتى وفاته.

الهوامش:

(١) د. محمد عمارة، الإسلام والسياسة، الرد على شبهات العلمانيين، (القاهرة: دار الشروق للنشر، ٢٠٠٨)، ص١٦٣.

(٢) محمد علي أبو هندي السيد، مشروع النهضة بين الدكتور محمد عمارة والدكتور محمد عابد الجابري " دراسة تحليلية نقدية، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ٢٠٠٨، ص٣٠.

(٣) د. محمد عمارة، الإسلام والسياسة، مرجع سابق، ص١٦٣.

(٤) محمد علي أبو هندي السيد، مرجع سابق، ص٣٠.

(٥) المرجع نفسه، ص٢٢٨.

(٦) د. محمد عمارة، الإسلام والسياسة، مرجع سابق، ص١٦٥.

(٧) د. محمد عمارة، الظاهرة الإسلامية، (القاهرة: المختار الإسلامي، ١٩٩٨)، ص٢٥.

(٨) د. محمد عمارة، "هذا إسلامنا"، مجلة مختارات إسلامية، القاهرة، د. ت، ص٦٩.

(٩) مقابلة شخصية أجراها الباحث (حسام كصاي) مع المفكر محمد عمارة بمنزله في القاهرة بتاريخ ٢٠١٢/٥/٣، الساعة ٧ مساءاً.

(١٠) د. محمد عمارة، العرب والتحدي، (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩١)، ص٩٠.

(١١) د. محمد عمارة، ازمة الفكر الاسلامي، (القاهرة: دار الشرق الاوسط للنشر، ١٩٩٠)، ص١٢.

(١٢) الرجع نفسه، ص٢٥.

(١٣) محمد أبو هندي السيد، مرجع سابق، ص١٤٦_ ١٤٧.

(١٤) مقابلة شخصية مع المفكر محمد عمارة.

(١٥) د. محمد عمارة، ازمة الفكر الاسلامي، مرجع سابق، ص٢٠.

(١٦) محمد ابو هندي السيد، مرجع سابق، ص١٨٩.

(١٧) د. محمد عمارة، الاسلام والمستقبل، ط٢، (القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٦)، ص٩٢.

(١٨) المقابلة الشخصية.

(١٩) د. محمد عمارة، في النهج الإسلامي، (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩١)، ص١٣٤.

(٢٠) د. محمد عمارة، نهضتنا الحديثة بين العلمانية والاسلام، ط٢، (القاهرة: دار الرشاد للنشر، ١٩٩٧)، ص٤٤.

(٢١) المرجع نفسه، ص–٤٥.

(٢٢) د. محمد عمارة، الإسلام والعروبة، (القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٨)، ص٦.

(٢٣) القرآن الكريم، سورة البقرة (٢٥٦).

(٢٤) د. عبد الوهاب المسيري، د. عزيز العظمة، العلمانية تحت المجهر، (دمشق: دار الفكر للنشر، ٢٠٠٠)، ص٥٠.

(٢٥) سورة المائدة، الآية (٤٥).

(٢٦) د. محمد عمارة، الشريعة الاسلامية والعلمانية الغربية، (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٣)، ص٥٨.

(٢٧) د. محمد عمارة، "ماذا صنعت العلمانية بأوروبا"، صحيفة الاهرام، القاهرة، العدد ٤٥٥٢٣، ٢٠١١/٧/٢٧.

(٢٨) أنظر: حسام كصاي، جدلية العلاقة بين الدين والسياسة في الفكر العربي المعاصر: برهان غليون ومحمد عمارة (دراسة مقارنة)، رسالة ماجستير، القاهرة، جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، ٢٠١٢، ص١٦٩.

(٢٩) المرجع نفسه، ص١٧٠.

(٣٠) د. محمد عمارة، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، ط٢، (القاهرة: دار نهضة مصر، ٢٠٠٤)، ص٢٦.

(٣١) د. محمد عمارة، الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية، مرجع سابق، ص٤٤.

(٣٢) د. محمد عمارة، القدس بين اليهودية والإسلام، (القاهرة: نهضة مصر، ١٩٩٠)، ص٣٧.

(٣٣) د. محمد عمارة، الغرب والإسلام بين اين الخطأ واين الصواب، (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٤)، ص١٧

(٣٤) د. محمد عمارة، الإسلام والسياسة، مرجع سابق، ص٢٠.

قائمة المصادر

القرآن الكريم

الكتب

١) عبد الوهاب المسيري، د. عزيز العظمة، العلمانية تحت المجهر، (دمشق: دار الفكر للنشر، ٢٠٠٠).

٢) محمد عمارة، ازمة الفكر الاسلامي، (القاهرة: دار الشرق الاوسط للنشر، ١٩٩٠).

٣) محمد عمارة، الإسلام والسياسة، الرد على شبهات العلمانيين، (القاهرة: دار الشروق للنشر، ٢٠٠٨).

٤) محمد عمارة، الإسلام والعروبة، (القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٨).

٥) محمد عمارة، الاسلام والمستقبل، ط٢، (القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٦).

٦) محمد عمارة، الشريعة الاسلامية والعلمانية الغربية، (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٣).

٧) محمد عمارة، الظاهرة الإسلامية، (القاهرة: المختار الإسلامي، ١٩٩٨).

٨) محمد عمارة، العرب والتحدي، (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩١).

٩) محمد عمارة، الغرب والإسلام بين اين الخطأ واين الصواب، (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٤).

١٠) محمد عمارة، في النهج الإسلامي، (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩١).

١١) محمد عمارة، القدس بين اليهودية والإسلام، (القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٩٠).

١٢) محمد عمارة، معركة المصطلحات بين الغرب والإسلام، ط٢، (القاهرة: دار نهضة مصر، ٢٠٠٤).

١٣) محمد عمارة، نهضتنا الحديثة بين العلمانية والاسلام، ط٢، (القاهرة: دار الرشاد للنشر، ١٩٩٧).

الرسائل:

١) حسام كصاي، جدلية العلاقة بين الدين والسياسة في الفكر العربي المعاصر: برهان غليون ومحمد عمارة (دراسة مقارنة)، رسالة ماجستير، القاهرة، جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، ٢٠١٢.

٢) محمد علي أبو هندي السيد، مشروع النهضة بين الدكتور محمد عمارة والدكتور محمد عابد الجابري " دراسة تحليلية نقدية، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ٢٠٠٨.

الصحف:

١) محمد عمارة، "ماذا صنعت العلمانية بأوروبا "، صحيفة الاهرام، القاهرة، العدد ٤٥٥٢٣، ٢٠١١/٧/٢٧.

٢) محمد عمارة، "هذا إسلامنا"، مجلة مختارات إسلامية، القاهرة، د. ت.

المقابلات:

١) مقابلة شخصية أجراها الباحث مع المفكر محمد عمارة بمنزله في القاهرة بتاريخ ٢٠١٢/٥/٣، الساعة ٧ مساءاً.